علم الجراحة

ثبت من البيانات الماضية أن علم التحنيط الذي امتاز به قدماء المصريين ،وأعجزوا ببراعتهم فيه جميع الأمم من مستلزماته الأولية علوم شتى يتوقف على النبوغ فيه إتقانهم لها. فالتشريح والجراحة وعلم النبات وما يتبع هذه الفنون الثلاثة بمنزلة الوسائل الأولية له. وعدم اشتمال بعض الاوراق البردية الطبية على علم الجراحة لا يؤخذ دليل على عدم انتشاره في عهدهم، إذ من القمر في المعلومات التي أوردناها نقلا عن أوثق المصادر التاريخية أن طبقات من الكهنة في المعابد والهياكل كل التي كانت تجاوزها المدارس والمستشفيات في تلك العصور الزاهرة كانوا يؤدون الأعمال الجراحية في العيادات المجانية للفقراء والجماهير المترددين عليها. وكثيراً ما عثر علماء الآثار على آلات جراحية بديعة في اكتشافات متعددة، منها ما وجده المكتشف كومري (**Comrie**) في مقابر طيبة يرجع تاريخها إلى العصر المعدني أي سنة ١٥٠٠ ق.م.

قال بلين وديوسكوريد (**Dioscoride**) أن الأطباء المصريين من الكهنة لم يقصروا أعمالهم في الفنون الطبية على علم منها دون الآخر، بل كانوا متضلعين فيها إلى النهاية ولا يقفون في التجارب والاختراع إلى مدى محدود. ومن براعتهم في تبنيج الجروح عدم اقتصارهم على مادة البنج المعروف، بل كانوا يصنعون مادة له (من الرخام المصري أو من حجر معروف بحجر منفيس) يمزجونة بعد سحقه بالخل ويوضع على الجرح، فلا يشعر المريض بألم لا من البتر ولا من الكي وهذا المزيج يتكون منه مبدئيا مادة حمض الكربونيك الذي له تأثير البنج في الاجسام وقد شوهدت بعض الجماجم المحنطة مع تلك الجثث (التي أدى اكتشافها إلى معلومات جليلة طبية وغيرها) جراح ملتئمة تنبئ أنها آثار عملية جراحية وقد مضى على هذه الجثث والجماجم نحو ستة آلاف سنة.

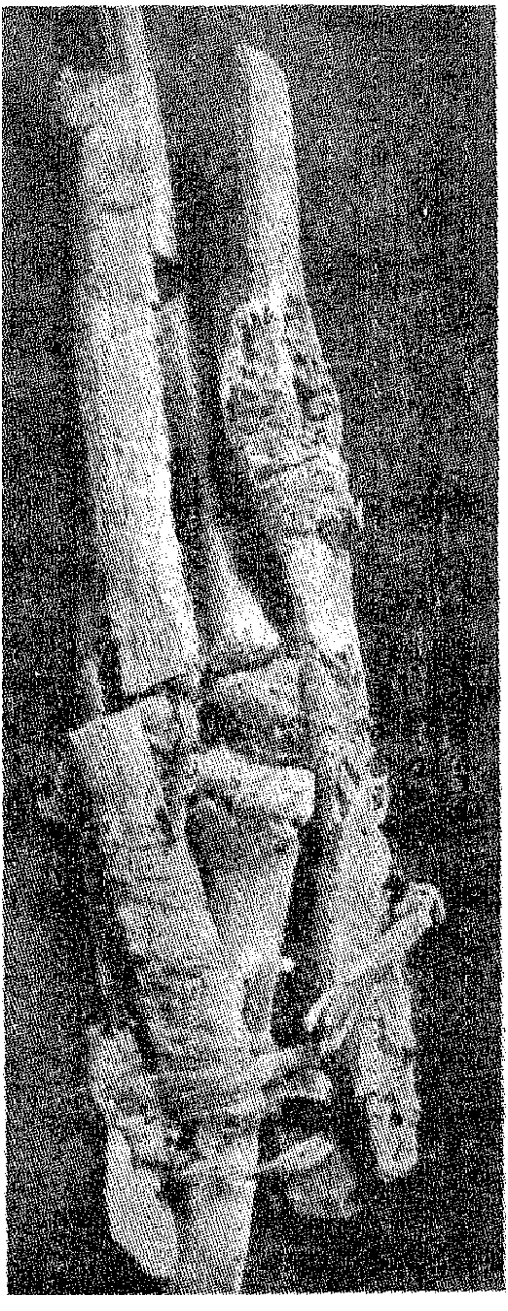

رسم كف مكسور ملتصق بجبائرة

يرجع عهده إلى الأسرة الخامسة عثر عليه العالم إليو سميث

ووجد في مقبرة بني حسن رسم له نحو ثلاثة آلاف سنة يمثل طبيبا متربعا يباشر عملية جراحية لمريض في رأسه. وقال ارمند روفر إن قدماء المصريين كانت لهم خبره تامة بالفنون الطبية والجراحية وجميع مستلزماتها، وتوصلوا بذكائهم إلى صناعة ثقب عظام الرأس للأحياء ما تدعو الأحوال العلاجية بكل تحفظ واحتياط في شأنها، ولا شك في أن ثقب هذه الجماجم يستدعى مهارة أكثر مما يستلزمه ثقب اللآلئ الثمينة التي تحلى بها نفائس المقود لحسان وتيجان الملوك.

تجبير الأعضاء

مما اشتهر به قدماء المصريين فن تجبير الأعضاء ، ولهم في أساليبه براعة تامة تدل عليها المشاهدات الدقيقة المنبئة عن عمليات من نوعها أجريت لكثير من الجثث المحنطة حين حياة أربابها، فقد لوحظ في بعض تكسر الأعضاء الحيوية وإتقان معالجتها وتجبيرها بمعرفة أولئك الحذائق الماهرين حتى عادت في الطول والعرض بمثابة خلقتها الأولى. وقد وجد الأستاذ إليوسميث **(Eliot Smith)** جثة إمرأة مكسورة الكفين كأنها سقطت من مرتفع وشاهد بها قطع خشب (المسماة عرفا جبائر٩ لاصقة بالكف ذات لفائف محكمة تشهد بإتقان في الصناعة ودقة في المعالجة. وكثيرا ما وجدت في الاكتشافات مسائل التجبير في عظام الأيدي والأرجل والكتف والفخذ والأضلاع، ولم يكن فيما عثروا عليه أثر تجبيرات للركبة (وهي في ذاتها نادرة الحدوث إلا في الوقائع الحربية).

وفي القسم الخاص بالآثار المصرية في المتحف البريطاني توجد جثه شاب دون البلوغ له أذنان صنعتا من القطن بمزيج الصمغ الصنوبري وكان من المقرر في بعض القوانين بعصور سالفة قطع الأذنين عقابا على جرائم معينة، وكأن هذا الشاب نفذت فيه هذه العقوبة واستعيض عن أذنيه بغيرهما من هذا الاختراع محوا وستراً لآثار الجريمة من هيكله الإنساني، كما تجوز اصابتهما بحادثة استعدت بترهما، فاستعاضوهما بهذا

الاختراع ،حتى لا تنقص التموجات الهوائية في معاطف الآذان التي عليها المدار في أداء حازسة السمع لوظيفتها الطبيعية. وتدل بعض آثارهم أيضا على أنهم كانوا يستعملون الختان وقطع الخصيتين في ظروف خاصة.

واكتشف الأثرى لوريه في مقبرة الأطباء بناحية سقارة رسوما شتى ي جوانبها عمليات جراحية كثيرة، ويرجع عهد هذه المقبرة لعصر تيتي أول ملوك الأسرة السادسة أي منذ ٢٦٠٠ سنة ق.م وكانت تنسب لأحد السراة في عصره الحريصين على تخليد ذكرهم للآثار العمرانية النافعة.

والرسوم التي في الجزء الأول إلى يسار المقبرة تمثل طبيبا يجري لمريض عملية جراحية في يده، والتي في الجزء الأسفل تمثل طبيبا يجري عمليتين لمريض واحد احداهما في اليد والثانية في القدم.

وبجانب باب المقبرة الى اليمين يرى رسم طبيبين أحدهما أمامه مريض مرتفع اليدين يقبضهما آخر، والثاني أمامه مريض غيره رافع يديه ولا يمسكها أحد. وكلا الطبيبين يؤدي لمريضه عملية جراحية في عضو التناسل، والراجح أنها عملية ختان أخذاً من شكليهما الدالين على كونهما من الشبان، وكان من عاداتهم وقتها تأجيل الاختتان إلى قرب الزواج. وهذا الرسم يمثل في يدي الطبيبين سكينا مقبضها من حجر الصوان كالتي وجدها المسيو لورتيه **(Lortei)** في أبيدوس المحفوظة الآن في متحف ليون وتذكرنا أيضا بما وصفته التوراة لأنواع بعض السكاكين.

وقد نش العالم الأثرى شاباس سنة ١٨٦١ صورة رسم في إحدى المجلات منقول عن معبد خونسو بالكرنك، يرجع تاريخه إلى الأسرة التاسعة عشر أي سنة ١٣٠٠ ق.م يمثل صبيين بين السادسة والثامنة من العمر أمامهما طبيب يجري لهما عملية الختان ويظهر أنهما من أولاد رعمسيس الثاني مشيد هذا المعبد، وكان هذا التمثال في العصور الماضية من مشتملاته.

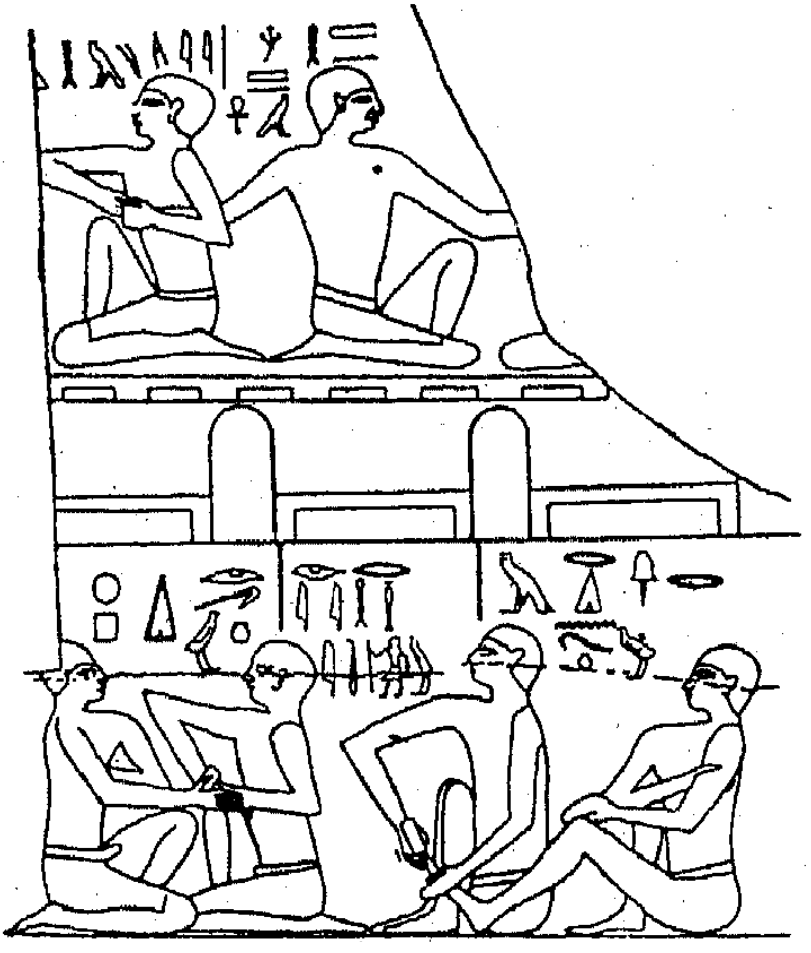

رسم أطباء مصريين يجرون عمليات جراحية في أيدي وأرجل بعض المرضى هذا الرسم مأخوذ من قبر الأطباء بسقارة من عهد الملك تتا الثاني أول ملوك الأسرة السادسة أي حوالي ٢٦٠٠ سنة ق.م.

وترجمة النقوش المصرية القديمة المكتوبة على هذا الرسم في القسم الأعلا من اليسار إلى اليمين "أمسكه ولا تدعه أن يكون..." والقسم الأسفل إلى اليسار يقرأ من اليمين إلى اليسار وترجمته "أعمل هذا واجعله أن ينتهي" والجملة الواقعة في الوسط تقرأ من اليسار إلى اليمين وترجمتها "أني سأعمل لك حسب رغبتك يا أمير" والجملة الأخيرة الواقعة إلى اليمين تقرأ من اليسار إلى اليمين وترجمتها "إني أجعله لذيذا لذاتي"

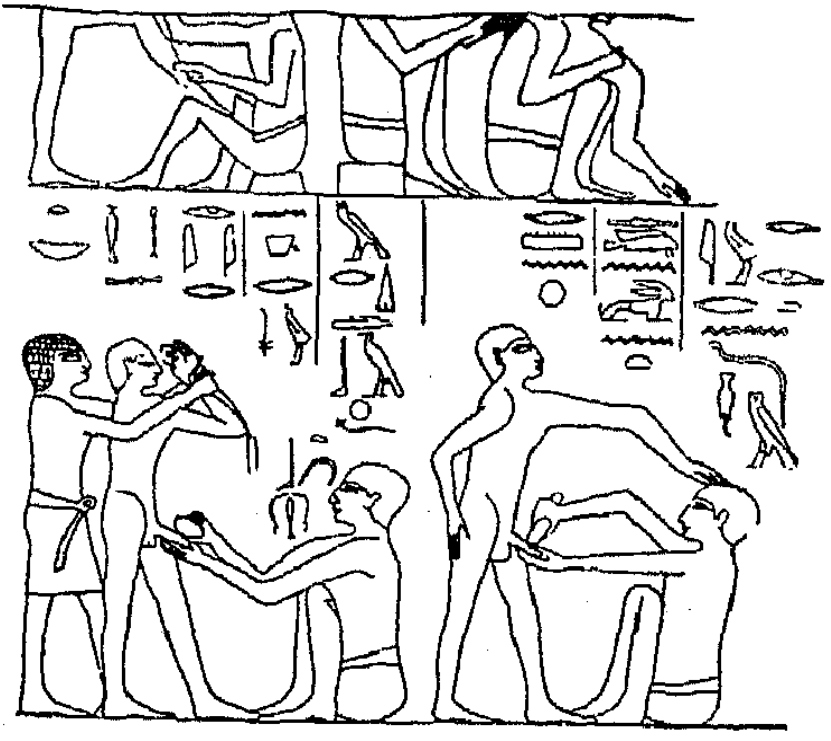

ترى في الجزء الأسفل من هذا الرسم طبيبين يجريان عملية الختان لشابين وهذا الرسم مأخوذ من القبر الشهير بقبر الأطباء بسقارة